ابن خُـــرداذبَه

للأســـتاذ كوركيس عواد

١ — تصدير

كانت مجموعة التصانيف الثمينة ، التي طبعها دى غويه De Goeje المستشرق الهولندى الذائع الصيت ، بعنوان « الخزانة الجغرافية العربيـة »[1] ، قد نالت استحسان جمهرة الباحثين ، وتقدير كبار العلماء ، ولا مراء أن تلك المؤلفات ، سطّرت لأصحابها اسماً ذهبياً على جبين الدهر وأبقت لهم ذكراً خالداً . وقد كان اهتمام ناشرها العلامة بتصحيحها ومقابلة روايات نسخها ، مدعاةً لإعجاب كل من وقف عليها ومجلبةً لإكبار ما عاناه فى تحريرها ، ودليلاً على ما اتّصف به من علم واسع وصبر جميل

والذي يؤسف له أشد الأسف ، أن أكثر مؤلّفى[2] هذه « الخزانة » هم من صنف العلماء المغمورين الذين نجهل الشيء الكثير من أمرهم . وحسبك أن تعلم أن أغلب كتب التراجم لم تتعرض لذكرهم ، وإن فعلت فبالشح والتقتير ! وكان المستشرق المذكور ، قد صرف جانباً من عنايته فى التعريف بكل واحد منهم فدوّن ما وسعه تدوينه ؛ ومع ذلك ظلّت هاتيك التراجم بحاجة إلى من يتبسّط فيها ، ويزيل عنها ما هو عالق بها من الاقتضاب . وقام بعد دى غويه من اهتم بهذا الشأن أيضاً ، فنشر الأب لامنس ترجمة حسنة للبشّارى المقدسى[3] ، وتلاه الأستاذ أحمد أمين بك فكتب ترجمة ثانية له[4] . ودوّن أخي ميخائيل عواد ترجمة وافية لابن حوقل[5] . وها نحنُ أولاء نعرض على القرّاء ترجمة « ابن خرداذبه » مستقاة من المراجع الموثوق بصحتها . ومن الله التوفيق

(١) عنوانها باللاتينية Bibliotheca Geographorum Arabicorum وقوامها ثمانية مجلدات ، ظهرت طبعتها الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٠–١٨٩٤

(٢) هؤلاء المؤلفون هم : ابن حوقل وابن خرداذبه وابن رسته ، وابن الفقيه الهمذانى والاصطخرى وقدامة بن جعفر والمسعودى والمقدسى واليعقوبى

(٣) لامنس : المذكرات الجغرافية فى الأقطار السورية (بيروت ١٩١١ ، ص ٣٤ — ٥٢)

(٤) مجلة الثقافة (العدد ٩ ، ص ٩ — ١١)

(٥) مجلة « الرسالة » العدد ٤٢٣ ، ص ١٧٢٨ — ١٧٨١

٢ — لفظة خرداذبه

إختلفت المراجع القديمة فى ضبط لفظة « خرداذبة » أيما اختلاف : فبعضها ضبطها بإسكان الراء[1] ، وبعضها بفتحها مع التشديد[2] . ومنها من كتبها بذالين معجمتين بينهما ألف[3] ، أو بذالين مهملتين بينهما ألف[4] ؛ فى حين أن فريقاً آخر جعل من الدال الثانيـة ذالاً معجمة[5] ، وهى الأوفق . فإن الكلمة فارسية على ما يجيء بنا ، والذال الواقعة بعد حرف علّة تُعجَم على القاعدة المشهورة . وهناك من أورد الباء مكسورة ، أو من أوردها مفتوحة[6] ، أو من جعلها ياء[7] ، فقد قال السيد مرتضى الزبيدى : « خرداذبه : بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال وسكون الياء التحتية وآخره هاء »

وهنالك اختلافات عديدة غير ما ذكرنا ، حصلت من جراء التلاعب بأحرف لفظة « خرداذبه » . ونحن على يقين من أن

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٦٢) والفهرست لابن النديم (ص ١٤٩ طبعة فلوجل)

(٢) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٥ طبعة كريمرز) ، وديوان البحترى (طبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، ١ : ٢١٠ ؛ أو طبعة المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩١١ ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦)

(٣) مختصر نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى (طبعة رومة سنة ١٥٩٢ م ، ص ٧٠)

(٤) كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ١٤ ب) ، والفهرست لتيليقات الناشر ص ٥٨ ، ومروج الذهب للمسعودى ، طبعة باريس ١ : ١٣ و ٢ : ٧٠ و ٣٢٦ ، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ، طبعة دوزي في ليدن سنة ١٨٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، ٤ : ٦٠٢ طبعة وستنفلد ؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة ٢ : ١٠١ — ١٠٢ و ٥ : ٥١٠ — ٥١١ طبعة فلوجل

(٥) الفهرست ص ١٤٩ ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٥ طبعة دى غويه ، أو ٦٥ — ٦٦ طبعة مصر ؛ والآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيرونى ص ٤١ طبعة سخاو ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٦ : ٢٣١ طبع الفرنج ومختصر نزهة المشتاق للادريسى ص ٣١٥

(٦) ابن حوقل ص ٥ ، والمقدسى ص ٣٦٢ ، والأغانى لأبي الفرج الأصفهانى فى أماكن مختلفة تذكرها فيما بعد

(٧) تاج العروس ٨ : ٣٢١ ، مادة : روم ؛ وكشف الظنون ٢ : ٤٢٣ طبعة استانبول الأولى ، ومقدمة ابن خلدون طبعة كاترمير فى باريس سنة ١٨٥٨ م ، ١ : ٩٣ ، وطبعة بولاق ص ٤٤ ، وطبعة بيروت الثالثة المشكولة سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٣ ؛ ويلاحظ أن الخاء جاءت فى هذه الطبعة مفتوحة وهو تحريف ثان ، نظير ما ورد فى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٢

أغلب ذلك إنما جاء على أيدى جهلة النساخ . ومما وقفنا عليه من الصور الممسوخة لهذه اللفظة : جرداذه[١] ، وجردازبه[٢] ، وجرداويه[٣] ، وحرادو[٤] ، وحرازيه[٥] ، وحردايه[٦] ، وخرداذبة[٧] وحردازية[٨] وخراداذبة[٩] ، وخرداد[١٠] ، وخردادة[١١] ، وخردادية[١٢] وخرداذه[١٣] ، وخرزاد[١٤] ، ودارية[١٥] ! !

فهذه اثنتان وعشرون صورة مضطربة مشوّشة ، جَرَت على أسل الكتبة والنسّاخ ، وإنما أوردناها بهذا الوجه من التفصيل ليكون القارئ على بينة من أمرها حين مراجعته المصنفات التى نوّهنا بها في الحواشى

وفى معجم ريشاردسن الفارسى — العربى — الانكليزى[١٦] تفسير لمعنى لفظة خرداذبة . قال : إن معنى « خرداذ » بالفارسية مَلاك ، و « به » ، والباء موحدة مفتوحة : جيد أو صالح . فيكون مدلول اللفظة : الملاك الصالح

نخرج بالقارئ مما ذكرنا آنفاً ، أن أحسن الوجوه وأصحها فى كتابة هذه التسمية الأعجمية هو «خرداذبة» بالضبط الذى نقلناه عن صاحب التاج مع مراعاة تصحيح الياء المثناة باء موحدة مفتوحة

(١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E ، و ٢٢٢ حاشية G ، و ٣٦٢ حاشية I

(٢) المقدسى ص ٤ حاشية L ، و ٦٨ حاشية F

(٣) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢

(٤) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقى الرقم ٤ مادة : مقدونية

(٥) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقى الرقم ٣ مادة : قسطنطينية

(٦) مروج الذهب بهامش الكامل لابن الأثير ١٠ : ٣٠ و ٣٤ و ٣٦ طبع القاهرة

(٧) تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينية بالقاهرة ٢ : ٢٣

(٨) كشف الظنون ١ : ٢١٥ استانبول

(٩) مقدمة ابن خلدون طبعة باريس ١ : ٩٣

(١٠) كشف الظنون ٥ : ٥٠٩ فلوجل

(١١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E و ٣٦٢ حاشية I

(١٢) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١

(١٣) المقدسى ص ٥٧ حاشية I و ١٨٩ حاشية G و ٢٢٢ حاشية G و ٢٤١ حاشية G

(١٤) المقدسى ص ٤ حاشية P

(١٥) مروج الذهب بهامش ابن الأثير ١ : ٩ طبع القاهرة وكذلك فى طبعته المصرية سنة ١٣٤٦ هـ ١ : ٥ وطبعته المصرية الأخرى سنة ١٣٥٧ هـ ١ : ٥

(١٦) Richardson : Persian — Arabic — English Dictionary. (3 Rd Edition, London, 1829. Vol. I., P. 299 A., Vol. II., P. 904 B.)

٣ — من عرف باسم خرداذبة

ويحدثنا التاريخ ، أنه نشأ غير واحد ممن عرف بهذه التسمية هدانا البحث إلى أسماء خمسة منهم ، ودونك شيئاً عنهم :

الأول — خرداذبة الرازى الراوى : ذكره الطبرى[١] فى حوادث سنة ٣١ للهجرة . وهذا لا يعت بصلة ما إلى الأربعة الآخرين الآتى ذكرهم .

الثانى — خرداذبة : جد أسرته الأعلى . وهو رجل فارسى من بلاد خراسان ، كان فى أول عهده مجوسياً ، ثم أسلم على يد البرامكة[٢] . وهو أول من أسلم من أفراد أسرته .

الثالث — أبو عبد الله ابن خرداذبة : وهو ابن الخرداذبة المتقدم ذكره . لم نقف على ما يستحق التدوين من أخباره .

الرابع — عبد الله ابن خرداذبة ابن السابق ذكره . وهذا قام بفتوحات مهمة ، وأسند إليه منصب كبير فى عهد العباسيين ، أعنى به ولاية طبرستان . فقد روى الطبرى[٣] ، وتابعه فى ذلك ابن الأثير[٤] ، وأبو الفداء[٥] ، فى حوادث سنة ٢٠١ للهجرة ، إن « فى هذه السنة ، افتتح عبد الله بن خرداذبة ، وهو والى طبرستان ، اللاّرِزَ والشرِزَ[٦] من بلاد الديلم ، وزادهما فى بلاد الإسلام . وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهريار بن شروين[٧] عنها ، فقال سلام الخاسر[٨] :

إنا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن أذل لنا من مُلك شروين

فاشدد يديك لعبد الله إن له ... مع الأمانة رأيا غير موهون

(١) تاريخ الطبرى (السلسلة الأولى ، ص ٢٨٧٣)

(٢) الفهرست (ص ١٤٩ فلوجل ، أو ص ٢١٢ مصر)

(٣) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٠١٤ — ١٠١٥)

(٤) الكامل فى التاريخ (٦ : ٢٣١ من طبع الفرنج ، أو ٦ : ١٢١ بولاق ١٢٩٠ هـ)

(٥) تاريخ أبي الفداء (٢ : ١١٦ طبعة ريسكى سنة ١٧٩٠ م ، أو ٢ : ٢٣ مصر)

(٦) ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان . والذي فى طبعة ابن الأثير الأوربية : اللارز والشيزر ، وفي البولاقية : البلاذر والشيزر . وهما مصحفان.

(٧) فى تاريخ أبي الفداء : شهريار بن شهريار بن شروين .

(٨) هو سلم (بفتح الأول على الرواية المشهورة ، وبوزن سحاب على رواية ابن خلكان ، وكلاهما سائغ) الخاسر أحد شعراء الدولة العباسية ، مات فى أيام الرشيد . وأخباره فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٠ — ٤٣ طبعة عباس إقبال ، لندن ١٩٣٩ ، والأغاني (٢١ : ٧٣ — ٨٤ طبعة الساسى) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٩ : ١٣٦ — ١٤٠) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٤ : ٢٤٧ — ٢٤٩ طبعة مرجليوث) ووفيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٢٧٩ — ٢٨٠ بولاق ١٢٧٥ هـ) ونهاية الارب للنويري (٣ : ٧٨ — ٨١) .

وأشخص مازيار[1] بن قارن[2] إلى المأمون، وأسر أبا ليلى[3] ملك الديلم فى غير عهد فى هذه السنة » . انتهى كلام الطبرى

وقد تعرض ابن كثير لهذه الحادثة دون أن يذكر ابن خرداذبه وهذا نص كلامه[4] : « وفيها (سنة ٢٠١ هـ) افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز [كذا] . وذكر ابن حزم أن سلماً الخاسر قال فى ذلك شعراً . وقد ذكر ابن الجوزى وغيره أن سلماً توفى قبل ذلك بسنين . فالله أعلم » اهـ

وقد أشار إليه الشابشتى بقوله[5] : « فذكر عبد الله ابن خرداذبه ، أنه حضر مجلس المأمون يوماً ، وقد عرض عليه أحمد بن أبى خالد رقاعاً . . . »

وذكره أبو الفرج الأصفهانى بما يلى[6] : « أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الدينارى قال : حدثنا اسحاق[7] قال : قالت لى زهراء الكلابية : ما فعل عبد الله بن خرداذبه ؟ فقلت : مات ! فقالت : غير ذميم ولا لئيم . غفر الله لصداه[8] لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك ... »

الخامس — أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه . وهو الذى عليه مدار كلامنا فى هذا البحث

٤ — عبيد الله بن خرداذبه

وهذا أشهر من ذكرنا من هؤلاء القوم ، وأعظمهم مكانة ، وأبقاهم اسماً . كان قد أنيط به منصب « صاحب البريد والخبر[9] » بناحية الجبل[10] بفارس . على أن ما زاد فى شهرته وتخليد اسمه فى التاريخ ، هو المؤلفات التى صنفها ، وسيأتى الكلام عليها فى موطن آخر من هذا المقال

وكان ابن خرداذبه قد نادم « المعتمد » خامس عشر الخلفاء العباسيين وخص به . وقد ساق المسعودى « المقالة الموسيقية[1] » لابن خرداذبه ، ومما جاء فى ثنايا قوله[2] :

« وذكر عبيد الله بن خرداذبة أنه دخل عليه [على المعتمد] ذات يوم وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى ؛ فقال له : أخبرنى من أول من اتخذ العود ؟ قال ابن خرداذبة : قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة . الخ »

إلى أن يقول[3] : « قال المعتمد : قد قلت يخاطب [ابن خرداذبة] فأحسنت ، ووصفت فأطنبت ، وأتيت فى هذا اليوم سوقاً للغناء وعيداً لأنواع الملاهى . وإن كلامك لمثل الثوب الوشى ، يجتمع فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان . فما صفة المغنى الحاذق ؟ قال ابن خرداذبة : المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين ... الخ »

ويختم المسعودى الحكاية بقوله[4] :

« فهذه — يا أمير المؤمنين — جوامع فى صفة الإيقاع ومنتهى حدوده . ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبة وعلى من حضره من ندمائه ، وفضله عليهم ، وكان يوم لهو وسرور »

(يتبع — بغداد) كوركيس عواد

(١) سيأتى خبر هذه المقالة فى معرض الكلام على مؤلفات ابن خرداذبة
(٢) مروج الذهب (٨ : ٨٨ طبعة باريس)
(٣) مروج الذهب (٨ : ٩٥ — ٩٦ طبعة باريس)
(٤) مروج الذهب (٨ : ٩٩ — ١٠٠ طبعة باريس)

(١) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ١٣٤ و ٣٣٩ و ٣٤٠ طبعة دى غوه فى ليدن) : مازيار بن قارن
(٢) فى بعض الروايات : قارون (٣) فى تاريخ أبى الفداء : أبا ليلى
(٤) البداية والنهاية فى التاريخ (١٠ : ٢٤٧ — ٢٤٨)
(٥) كتاب الديارات (الورقة ١٤ ب مخطوط . وهو مما أعددناه للنشر) وقد نقل هذه الرواية عنه أمدروز Amedroz فى حاشية الصفحة ٤٧ من « ذيل تجارب الأمم » للوزير أبى شجاع
(٦) الأغانى (٥ : ٧٦ طبعة الساسى ، أو ٥ : ٣٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) (٧) هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى
(٨) الصدى : جسد الانسان بعد موته
(٩) فى تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان (١ : ٢٢٠ — ٢٢٢) بيان حسن عما كان يعهد به إلى صاحب البريد وما كان له من رفيع المنزلة فى الدولة العباسية (١٠) هى بلاد ماذى Media القديمة

الفرقة القومية المصرية

تقـــدم

ابتداء من الجمعة ١٣ مارس والأيام التالية

المسرحية الاجتماعية الكبرى

كوميدى دراماتيك ٣ فصول

رجـــال

للأستاذ سليمان نجيب

اخراج الاستاذ فتوح نشاطى

كل يوم حفلة نهارية فقط الساعة السادسة

مسرح حديقة الأزبكية تليفون ٥٦٣٤٠